اغراق سفن الاستشفاء

ويلات هذه الحرب اكثر من ان تحصى وابلغ من ان توصف ولكن ظلامها الدامس لا يخلو من اشعة منيرة ولو كضوء الحباحب . ومنها سفن الاستشفاء التي ينقل بها الجرحى والمرضى من بلاد الى اخرى لكن الالمان ابوا الاَّ ان يوقعوا بها كما اوقعوا بغيرها من البوارج الحربية والسفن التجارية كأن مذهبهم اخذ العدو غيلة باية وسيلة كانت

وقد نقل الينا البرق قبل كتابة هذه السطور انهم اغرقوا سفينة من هذه السفن وكانت آتية من كندا الى فرنسا بالاطباء والممرضات والمقاتير الطبية ثم اغرقوا اكثر الذين كانوا فيها بعد ان ركبوا قوارب النجاة ولم يكن فيهم جندي محارب فاذكرنا ذلك فعلهم بسفينة الاستشفاء روى ، فانهم اغرقوها من غير انذار ليلة الخامس من يناير الماضي وكانت ذاهبة بالمرضى والجرحى من مالطة الى البلاد الانكليزية وكادت تبلغ المرفأ الذي كانت قاصدة اليه . وهي من السفن التجارية الحديثة التي آلاتها من نوع التربين المثلث طولها ٤٧١ قدماً وعرضها ٥٢ قدماً وقد اخذتها الحكومة من اصحابها سنة ١٩١٤ وجعلتها مستشفى . وقد سافرت كذلك ٤٥٠٠٠ ميل ونقلت اكثر من خمسين الفاً من الجرحى والمرضى واشتغل ركاب ثلاث من السفن التي اغرقها الالمان . ولما أغرقت هي كان فيها ٥٨٧ نفساً المرضى والجرحى منهم ٢٨٧ والباقون اطباء وممرضات وبحارة ولكن كان الالمان حينئذٍ قليلي الخلق فاكتفوا باغراقها وتركوا ركابها وشأنهم

وقد وصف واحد من كبار بحارتها حالتها حينما رشقتها الغواصة بالتربيد وما حلّ بركابها قال

كان البحر رهواً والجو صافياً والرقيب على ظهر السفينة يمشي ذهاباً وايباباً يستشرف ما امامهُ لعلهُ يخترق حجاب الليل ويرى ما حولهُ من المخاطر . وكانت السفينة منارة بانوار حمراء في شكل صلبان وانوار خضراء منظومة خطوطاً طويلة حولها . والذين فيها من الجرحى والمرضى بعضهم في حالة النقه وبعضهم في حالة الضعف الشديد كأنهم رجعوا اطفالاً لا حيلة لهم وغيرهم اشرفوا على الموت

وصار غاية ما يرجونهُ ان يصلوا الى بيوتهم ويلقوا الروح بين اهلهم واقاربهم . ولو سرتَ معي بين صفوف الاسرة قبلما رشقت السفينة بالتريد لساعة فقط لرأيت كل ما فيها كما يرى في مستشفى مستكمل وسائل العلاج والراحة فالاسرّة غاية في النظافة والانتظام . والانوار الكهربائية وكرابين الهواء الساخن للتدفئة ومطفئات النار والخزائن والموائد والمقاعد والحواجز والنقالات وآلات الجراحة وحمايل الادوية وكل ما يخفف الآلام ويشفي الاسقام كل ذلك من اجدّ ما يكون واصلح ما يكون . وهناك روافع تحمل المرضى وتنقلهم من طبقة الى اخرى او الى الاماكن التي تعمل فيها العمليات الجراحية حتى لا يجدوا اقل عناء في الانتقال . والنظافة تامة في كل شيء والمماشي مغطاة بحصر من الخيش الابيض الذي حتى لا يسمع وقع قدمي الماشي عليها

ولم يكن يسمع هناك الاّ صوت تنفس المرضى والجرحى وخفقان الآلات التي تسوق السفينة وصوت تنفس الامواج على جانبيها . ومن وقت الى آخر ترى طبيباً ماشياً ومعهُ احدى الممرضات فيعود هذا المريض او ذاك الجريح ثم تراهُ يقف امام سرير والمريض الذي فيهِ رافع رجلهُ وقد ربطت حولها الجبائر فيكلمهُ هنيئاً ثم يكلم خادماً وراءهُ والخادم يوضع حاجز حول السرير ويجرّ كرسي الى داخله فيسمع صوت انصباب الماء بعد قليل يزاح الحاجز ويسير الطبيب والممرضة في طريقهما متابعين اعمال الرحمة والحنان

وادخل معي جانباً آخر من السفينة حيث الاسرة مصفوفة صفين متوازيين فتعض الجميع بياساً لانك لا تسمع صوتاً ثم ترى رجلاً اخذ منهُ الضعف كلّ مأخذ حتى اصبح جلداً وعظماً وهو يقبض بيديهِ على ملاءات سريرهِ فيهمس الخادم في اذنهِ ويقول تيفويد . ثم ترى غيره من المصابين بالملاريا او الدوسنطاريا او غيرها من الامراض

وترى بعده مكاناً آخر وامامهُ حارس يحرس بابهُ وقد كتب عليهِ انهُ للامراض العقلية . وفي الباب فتحتان من الحديد الغليظ ترى من خلالها ممشى وابواباً على جانبيهِ لحجرات وهي مبطنة بحشايا وثيرة لان الذين يوضعون فيها مصابون بخبل في عقولهم فلا يؤذون انفسهم اذ ضربوا رؤوسهم بجدرانها . ولم يكن في هذه الحجرات حينئذٍ الاّ ثلاثة

والتفت الى الرجل الذي كان يرقب البحر من اعلى السفينة فتحدثه يحدق تارة بعينيه وينظر اخرى بالنظارة المزدوجة وهو لكذلك واذا بنور ضئيل على نحو ثلاثة اميال منه فراقبهُ بنظارته ثم رأى بقعةً نوراً آخر الى جانبه وهو اسطع منهُ جداً ويظهر كأنهُ يشير به فبادر الى إخبار القبطان فهرول اليهِ حالاً وجعل الاثنان يرقبان هذين النورين وكانا قد قربا من السفينة وصار على نحو نصف ميل منها وكانت هي قد تمهلت في سيرها حتى لا تدخل المرفأ قبل ارتفاع المد. والتحال امر القبطان ان تدار دفتها الى الشمال ولم تكد تدور قليلاً حتى سمع انفجار شديد يصم الآذان اهتزت بهِ السفينة كأن جباراً قبض عليها وهزها هزًّا عنيفاً فصفرت صفارتها خمس مرات اشارة للذين فيها حتى يسرع كل منهم الى التقارب المعد لنجاتهِ. وامر القبطان ان تقفل كل الابواب في قاع السفينة لكي لا يجري الماء من جانب الى آخر وان ينقل المرضى الى القوارب وترسل الاشارات بالتلغراف اللاسلكي الى كل جهة وتترك السفينة حالاً لانهُ ثبت لهُ ولرجالهِ انها ستغرق حتماً فانها ضربت بقذيفة ثغر فيها ثغرة كبيرة دخل منها الماء فملأ عنبرها باسرع من لمح البصر وكان فيهِ اربعة رجال فلم يوقف طمع على اثر. وبقيت ثغرة التقييد محل الآلات وكان هناك مهندسان فوثب احدهما الى سلم قريب منهُ وصعد عليهِ فلم يعبأ بمكروه واما الثاني فدخل الماء وجرفهُ الى الطرف الآخر من الغرفة. وهناك باب لهُ قضيب متين من الحديد فقبض عليهِ بكلتا يديهِ حتى حجز الماء عن سحبهِ ثم اخذ يتسلق عليهِ فوق الماء والبخار الى ان وصل الى الممشى الذي فوق الآلة البخارية وخرج من بابهِ وهو يكاد يهلك إعياء

والذين كانت اسرتهم فوق المكان الذي اصابهُ التقييد سمعوا صوتاً يصم الآذان وارتقوا من اسرتهم بين حطام الادوات التي كانت في مخادعهم فنهضوا حالاً وجعلوا يتعثرون في الظلام الدامس الى ان اهتدوا الى ابواب مخادعهم

فنهض كل الذين كانوا قادرين على النهوض حالما سمعوا صفارة السفينة وجعلوا يلبسون ثيابهم واحتطفوا مناطق النجاة وما استطاعوا اخذهُ من الاحرمة واسرعوا الى السلالة ومنها الى القوارب المعدة لنجاتهم كل الى اقرب المعد لهُ فقرنت المواشي منهم وحينئذٍ تيسر الاطباء والممرضات واخذهم ان يحملوا المرضى

والجرحى الذين لا يستطيعون القيام والمشي ولم يكن في الامكان ان ينتظروا دقيقة واحدة لان المياه دخلت السفينة حالاً كالسيل الجارف وكادت تملأ كل مماشيها ومخادعها. وما اصعب نقل الجريح المكسورة رجلاهُ او اضلاعهُ ولاسيما اذا اريد نقلهُ مثل هذه السرعة وتحت الخطر الشديد. وزاد الطين بلة ان انقطعت الكهربائية وانطفأت المصابيح كلها ولكن كان في كل مخدع وزاوية وعلى كل رف شمعة معدة لمثل هذه الساعة فضيئت حالاً وهي علة نجاتنا ولولاها لداس بعضنا بعضاً ولعذرت علينا النجاة

ولما نقل الذين لا يستطيعون المشي الى القوارب دخلها الذين يستطيعون المشي بعدهم ثم الاطباء والممرضات ثم البحارة. ونزلت القوارب الى البحر قارباً قارباً ولكل قارب رجلان مسرّحان على انزالهِ الى البحر ثم النزول اليهِ على حبل متصل بهِ. ففعلوا ذلك ونجا كل الذين كانوا في السفينة ما عدا الاربعة الذين كانوا حيث فعل التربيد فعلهُ الذريع ولم يوقف لهم على اثر

الاَّ ان الانفجار كسر بعض القوارب ومزقها تمزيقاً فالرجال الذين كانت معدة لركوبهم في ساعة الخطر وقفوا على ظهر السفينة خيارى لا سبيل لهم الى النجاة ولاهم يرون من الشهامة وعزة النفس ان يزاحموا غيرهم على اماكنهم في القوارب الاخرى او يتزاحموا بينهم فتثقل بهم قواربهم وقد تغرق فوقفوا في اماكنهم وكأن لسان حالهم يقول لرفاقهم بذا قضت الاقدار أن تنجوا انتم ونغرق نحن. ولكن اتضح بعد حين ان القوارب التي أنزلت اخيراً كانت تسع غير الذين نزلوا اليها فوسع لهم امكنة فيها

ومما رأيتهُ وسمعتهُ ولا انساه مدى العمر ان بعض الاطباء كانوا واقفين وامامهم قارب امتلأ رجالاً ولم يبقَ فيهِ الاَّ مكان لشخص واحد وكانوا يحسبون انهُ القارب الاخير فلما دنوت منهم سمعت واحداً يقول لرفيقهِ انزل انت فانك متزوج وانا اعزب. فاخبرتهما ان عندنا قارباً آخر يسعهم كلهم

ولم نكد نبعد عن السفينة ١٥٠ متراً حتى غاصت في اليم ارتفع جانب منها ثم توالى الانفجار فيها وكأنها انشطرت شطرين قبلما غرقت فودعناها بحارتها بتوهلم هب هب هورا ثلاثاً وداع التأبين لانها كانت عزيزة عليهم. وكنا على نحو عشرين

ميلاً من الشاطىء فاخذ البحارة يجدفون بكل جهدهم وكان في كل قارب صندوق فيهِ مواد تحترق بلهب احمر فجعل البحارة يحرقون هذه المواد بالانتظام حتى لا تضل القوارب

وقد أُطلق الترييد على السفينة الساعة ١١ والدقيقة ١٥ ففرقت بعد ساعة ودقيقتين. ونحو الساعة الثالثة بعد نصف الليل لمحنا شبحاً اسود عن بعد وكان سفينة وصفتها اشاراتنا اللاسلكية فبادرت لانقاذنا ثم رأينا شبح سفينة ثانية فاطمأنت قلوبنا لاننا علمنا ان نجاتنا صارت قريبة ولم يكن نقل الجرحى والمرضى الى هاتين السفينتين بالامر السهل ولكنهُ تمَّ بأقل ما يكون من المشقة والالم ولقينا في السفينتين كل وسائل الراحة . انتهى

هذا ولكن ما اقل السفن التي تضرب بالترييد ولا يغرق من رجالها الاَّ اربعة ويجد الناجون منقذاً بعد ساعات قليلة فان السفينة لندوفري كاسل التي أُغرقت في اواخر يونيو الماضي رُشقت بالترييد من غير انذار فلم يدر الذين كانوا فيها ان غواصة هاجمتهم الاَّ لما سمعوا صوت الانفجار . وللحال انطفأت المصابيح الكهربائية كلها وتخرب جهاز التلغراف اللاسلكي . ولما رأى القبطان ان السفينة ستغرق لا محالة امر بانزال القوارب عن جانبيها والخروج منها . وقد اثبت رئيس الاطباء الكنديين انهم كلهم نزلوا الى القوارب والظاهر ان كل الركاب والبحارة تمكنوا من النزول ما عدا الذين قتلوا بالانفجار . وبقي القبطان وثانيهِ وبعض رجالهِ في السفينة الى ان نزل كل الذين كانوا فيها ولما اراد هؤلاء ان ينزلوا في القارب المعد لنزولهم لم يجدوهُ ولكنهم وجدوا قارباً في البحر من قوارب النجاة فنزلوا اليهِ على جمل ودفعوهُ حتى بعد عن السفينة قبلما ابتلعها البحر والاَّ لابتلعهم معها . وانفجر اطلتها قبلما غرقت بوصول المياه الباردة اليهِ . وقد غرقت بعد ما اصابها الترييد بعشر دقائق فقط

وكان البحر هادئاً وفيهِ كثير من الحطام وعليها اناس متمسكون بها فانقذ القبطان احد عشر نفساً منهم ثم سمع واحداً يستغيث وقبل ان يصل اليهِ رأى هو وغيرهُ شبحاً اسود طويلاً يجول بين القوارب وحطام السفينة فتبينوهُ في ظلمة الليل واذا هو الغواصة التي رشقتهم بترييدها . ووقف رجل فيها ونادى القبطان بالانكليزية وامره ان يدنو بقاربهِ من الغواصة فاجابهُ ثاني القبطان قائلاً انه

ذاهبون الآن لانقاذ انسان من الغرق . فكرّر الرجل امره قائلا تعالوا الى هنا. الاّ ان القارب توقف قليلا وادا برصاصتين من مسدس الرجل مرّتا فوق رأسه وربان الغواصة يقول ان لم تأتوا حالاً سدّدنا المدفع اليكم . فاطاع القبطان امره وصعد الى الغواصة فسأله ربانها قائلاً ما هذه السفينة فقال هي سفينة الاستشفاء لاندواري كاسل فقال الربان ولكن معكم ثمانية من الطيارين الاميركيين . فقال القبطان كلاّ بل معنا سبعة اطباء كنديين اتوا بامر الحكومة الكندية ليعتنوا بالجرحى الكنديين حين عودتهم من انكلترا الى كندا . فقال الربان ولكن كان معكم طيارون اميركيون . فاجابهُ القبطان قائلاً اني اؤكد لك بشرفي انهُ مضى عليّ ستة اشهر وانا لا اقل الاّ الجرحى الاميركيين من انكلترا الى كندا ولم انقل قط الاّ المرضى والجرحى والاطباء والممرضات. فقال الربان ان كان معك احد من الاطباء الكنديين فليصعد الى الغواصة . فأُصعد طبيب منهم على صورة وحشية حتى انكسر عظم في قدمهِ وسئل بعض المسائل ثم أُمر بالرجوع الى القارب. وكان هنالك رجل ماسك بقارب مقلوب فلما رأى الغواصة ظن انها سفينة من سفن النجاة فتعلق بها وصعد الى ظهرها فالتفت ربان الغواصة اليهِ ورماهُ في البحر ثانية حتى غرق . ثم جعلت الغواصة تخطر بين حطام السفينة . واستدعى ربانها بعد ذلك ثاني القبطان ورابعهُ وادعى انهُ كان في السفينة مقادير كبيرة من المواد المنفجرة ولذلك فهي تنقل الدمار الى الاعداء وهذا سبب ما حدث فيها من الانفجار . فابان لهُ ثاني القبطان ان الانفجار حدث من وصول الماء البارد الى الاطار . فامرهما بالرجوع الى القارب ثم جعل يخطر بغواصتهِ بين سائر القوارب ويطلق القنابل عليها من مدافعهِ فاطلق ١٢ قنبلة

ولما رأى القبطان انهُ لا يستطيع ان ينقذ احداً ولا يرجو ان يأتي احد لانقاذه لانهُ لم يتمكن من ارسال الاشارات اللاسلكية سار بقاربهِ نحو اورندا فالتقت بهِ الساعة ليسندر واقتذت من فيهِ واتت بهم الى كوينستون . اما القوارب الخمسة الاخرى التي كان فيها اكثر ركاب السفينة فلم يوقف لها على اثر وكذلك لم ينقذ احد من الذين تعلقوا بحطام السفينة

الاّ ان اعمال التوحش هذه تقابلها اعمال الرحمة في جمعية الصليب الاحمر

فان الولايات المتحدة الاميركية وحدها انفقت على اعمال هذه الجمعية في السنة الماضية التي آخرها اول مارس الماضي نحو ٧٨ مليون ريال وهي موزعة على هذه الصورة

في فرنسا	٣٠ ٩٣٦ ١٠٣	ريال
في بلجكا	٠٢ ٠٨٦ ١٣١	»
في روسيا	٠١ ٢٤٣ ٨٤٥	»
» رومانيا	٠٢ ٦٧٦ ٣٦٩	»
» ايطاليا	٠٣ ٥٨٨ ٨٢٦	»
» الصرب	٠٠ ٨٧٥ ١٨١	»
» بريطانيا	٠١ ٨٨٥ ٧٥١	»
» سائر البلدان الاجنبية	٠٣ ٥٧٦ ٣٠٠	»
للاسرى ونحوهم	٠٠ ٣٤٣ ٣٠٤	»
مصاريف ادارة ونقل	٠٠ ١١٣ ٨٠٠	
والجملة	٤٧ ٣٢٥ ٦١٠	
اموال انفقها المتبرعون بارشادهم	٠٢ ٥٢٠ ٤٠٩	
	٤٩ ٨٤٦ ٠١٩	
اموال انفقت على جيش الولايات المتحدة	٠٨ ٥٨٩ ٨٩٩	
اموال تشترى بها مواد لتباع ثانية	١٥ ٠٠٠ ٠٠٠	
اموال أقرضت لاميركا وفرنسا	٤ ٢٨٦ ٠٠٠	
والجملة الكبرى	٧٧ ٧٢١ ٩١٨	

هذه اموال جمعت من اهالي الولايات المتحدة في اقل من سنة لاحل اعمال الرحمة وتخفيف آلام الناس اشترك في التبرع بها الاغنياء والفقراء فكانت ملهماً لجروح البشرية وثقلاً راجحاً في كفة العمران ولصدها تتبين الاشياء